في كل امورنا اليومية والرشاد قائدنا ولندرع بالصبر والثبات نجد اعمالنا بعد حين قد تكللت بالنجاح . اذ تقدم الوطن العزيز رجالاً ونساء اشداء اقوياء يتمكنون من نفعه وخدمته عندما تشتد سواعدهم وتقوى خلاياتهم وتتقدم مداركهم . وفقنا الله واياكن لكل ما يسعد بيوتنا ويزيدها سمعة وترتيباً فتزهو بذلك مملكتنا وتزهر ويخيم فيها السلام وتخفق عليها اعلامه

ياطا استيمو وايال

. . .

المرأة العثمانية والدستور

نهضت المرأة العثمانية الاحرار الدستوريين نهضاً جزيلاً وجاهدت في سبيل الدستور والحرية والاستقلال جهاداً نبيلاً . فخدمت بذلك الوطن والانسانية خدمة جليلة واثرت باعمالها تأثيراً عجيباً يذكر لها بالشكر ويقر لها بالفضل اخصها التركية والارمنية واليونانية ومن جرت مجراهن من بنات الالبان والشركس والبلغار فضلاً عن الاوروبيات المتعثمنات العقائل والاريبات والمعلمات

فكانت تساعدهم بالمال والجاه والنفوذ وتعاونهم بالرأي والادارة والتدبير وتخدمهم بنفسها دون اعتماد على رجل فتصل بين افكارهم الحرة بنقل المراسلات وتمكنهم من التفاوض عن بعد والتداول بالآراء على تباين بالمسكن وتفاوت بالوظيفة والمقام اذ كان الاجتماع منهياً لسوء ظن الظالمين والمجتمعون معرضاً لايصار الجواسيس وعرضة للسجن والنفي والقتل . وكانت تبث روح الدستور في المستبدين وتحاول تنظيف قلوبهم من ادران الجور واقناعهم بوجوب مناصرة الاحرار والانضمام اليهم للعمل واياهم على حفظ مقام الدولة وصيانتها من التقسيم واصلاح الامة وتقويتها وتأييد العدل والحق واطلاق الحرية وتعزيز الاستقلال . وكان زعماء تركيا الفتاة والاتحاد والترقي تفهمهم بها يعتمدون عليها بذلك لاسيما لما يعجزون هم انفسهم عن بلوغ المراد . ولكم من عدو لهم صادقهم ومن جاهل بهم عرفهم ومن خطر القوه بواسطتها حتى استحقت بعدل ان تعدها ملاك

الدستور

مع ما قامت به من تربية الناشئة الجديدة على ما يؤهلها لقبول هذا الانقلاب العظيم وتحريضها اياها على الاقدام عليه بلا وجل والاستبسال لتأييده وفدائه بالنفس والاهل والمال . وحسبها فضلاً تأثيرها بعواطف الرحماء وتلطيفها اخلاقهم وتهذيبها نفوسهم حتى فازوا بامانيهم دون هرق دماء واستطاعوا احترام العقل والقلب معاً واسترشدا بهما في معاملة المتحقرين حتى بعد فتنة نيسان وتأكد خيانة السلطان وثبات عزم المقدمين على الرجوع الى الماضي مهما كانهم الامر قتلاً ونهباً ولو آل ذلك الى خراب الدولة وهدم الاديوتوم يخربون

ولا يخفى ان المرأة العثمانية التي تصدرت حزب الاصلاح هي متعلمة مستنيرة ومتهذبة راقية ذات عواطف وطنية انسانية ونفس كريمة تحب الاستقلال والحرية . اشتهر كثير منها في الجهاد لاعلان الدستور شهرة جميلة وبلغ صيتها اوربا واميركا فاقترن اسمها بالاحترام كالاميرة نازلي هانم كريمة مصطفى فاضل باشا مؤسس حزب تركيا الفتاة وحفيدة ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا الكبير مصلح مصر ومحررها من رق المماليك وعقيلة خليل شريف باشا احد سفراء الدولة في باريز ومن وزراء خارجيتها فانها انفقت مالاً وافراً على الاحرار وقدمتهم بجاهها وبثت روح الدستور بين قومها بنشر الكتب والمبادي بالاذاعة وجاهدت بكل قوة لتحقيق امانيها بتأييد الحكومة بالشورى وتحملت الاضطهاد بشهامة وجرأة ونشاط وكتابة السلطان عبد الحميد مشهور وقد كتبته اليه منذ عشر سنوات تستلفت انظاره للفساد المتأصل في الدولة وتنبه افكاره الى الاسراع بالاصلاح حذراً من فوات الفرصة ووخامة العاقبة حينما ينفع الندم . وسامي هانم شقيقة احمد رضا بك زعيم الاتحاديين ورئيس مجلس المبعوثان كانت عوناً لاخيها في الجهاد وساعداً له على دفع العثمانيين النهوض من رهاد الظلم والثورة ضد الظالمين وذلك على الاخص باثارة افكار الهوانم واحماس على مقاومة الاستبداد الخاص والعام بل كانت منشطة له على الثبات ومرغبة له فيه ولما بلغها ان اعوان السلطان عبد الحميد يحضونه على الرجوع الى بلاده والسكوت عن الانتقاد وقبول وظيفة مهمة وعدوه بها مع الوف من الليرات بادرت الى تشديد عزمه بكتاب عرضته فيه على الرفض

وتوعدته بالتبرؤ منه الى الابد اذا قبل الرشوة واسرعت حالاً من الاستانة الى باريز ولازمته حذراً من ان يتمكن احد من التغلب على ارادته ولم تعبأ بما عاناه واياه من العسر والضيق بل رضيت بكل عناء حباً بالدستور. كذلك عقيلة السلطان المراد الاجنبية الاصل وعقيلة محمود باشا الداماد والدة الامير ضياء الدين وشقيقة عبدالحميد كانتا من جملة اللواتي ساعدن الدستوريين على قلب الحكومة المستبدة ومثلهما بعض هوانم يلدز ومن نحو عشرة اعوام تحمست احداهن وحاولت بنفسها قتل السلطان تخلصاً للعثمانيين من جوره فتبعض عليها وضحيت شهيدة غيرتها القومية كما ضحي غيرها من اللواتي اشقبهن في القصر وكانت بعضهن تحمل كل الحمل مناصرة رفيقاتها للاحرار

ومن اللواتي ساعدن الدستوريين في جهادهم الشريف ساعدات جلي اميرتان كردية والبانية حتى انهما لم تعدا تستطيعان البقاء في الاستانة فوريتا الى اميركا خوفاً من القتل ولا تزالان فيها ومثلهما ثريا هانم كريمة نصوحي بك احد ولاة بيروت فهذه عادت الى بلادها وكانت تسير في مقدمة الجيش الدستوري تنادي بالوطنية وقد وقفت احدى الاميرات التركيات نفسها لمعاونة الاحرار بغيرة مدهشة ونشاط وافر. وفي اول عهد الدستور عندما اتفق الباشاوات مدحت وعوني ورشدي وشيخ الاسلام حسن خيرالله على خلع السلطان عبد العزيز ليأسهم من الاصلاح على عهده كاد يعلن امرهم ويخيب قصدهم ويقتلون ضحية الشورى قبل بلوغ المراد اولا امرأة حرة تحب الامة اكثر من السلطان علمت بالله يكاد يعلم بالمؤامرة فينجر منها فذهبت مدحت واكدت له الامر فبادروا حالاً لتنفيذ القرار فتم لهم ما ارادوه

وكانت الكاتبات التركيات مهتمات بكتاباتهن بالاصلاح الاخلاقي الاجتماعي وتهيئة النفوس للدستور بمقدار ما تسمح لهن المراقبة من الشرهن الهوانم فاطمه عليه كريمة جودت باشا المؤرخ المشهور ونيكار كريمة عثمان باشا الغازي وفريده وخالده صالح

وبعد ما أعلن الدستور قد اهتمت المرأة العثمانية بالعمل على تأييده اهتماماً عجيباً يزداد يوماً من يوم. ولم تتأخر عن حضور جلسات البرلمان استطلاعاً لما قشاتوم بل بادرت حالاً كالمرأة الاوروبية الراقية واول من حضرت الجلسات الاولى الاميرة نازلي هانم

ولما انقض المستبدون على الاحرار في نيسان هذا العام واضرموا الثورة للفتك بهم واحتجت الامة على ذلك كان من جملة المراكز المحتجة جمعية النساء في قاضي كوى . وعندما افتتح الدستوريون الاستانة على الاثر كانت المرأة في وسط المامع تداوي الجرحى وتعزي النفوس وتحيي الجيش وهو سائر في الشوارع وتنثر الزهر عليه تنشيطاً له

. . .

وهذا ما وصف به الرصافي بعض نساء سلانيك عندما زحف جيش الدستور الى فتح الاستانة

من سلانيك الى الاستانة

مشوا والوالدات مشيعات خرجن وراءهم والوالدونا
يقلن وهن من فرح بواكٍ وهم من حزنهم متبسمونا
على الباغين منتصرين سيروا وعودوا للديار مظفرينا
ولا تبقوا الذين قد استبدوا وراموا كيدنا وتخوفونا
فان لم تقدروا الاوطان منهم فلستم يا بنين لنا بنينا
فقد هاجوا على الدستور شرا يدار الفلك كي يستعبدونا
هم الاشرار باسم الدين قاموا فعاثوا في الوطن مفسدينا
فاتركوا من الدستور (شورى) ولا ابقوا لغصته (طنينا)

. . .

وكم قد قلن من قول لشجي لهم فتركنهم مشجينا
ومذ حان الوداع دنون منهم فقبلنا الصوارم والجفونا
وما انسى التي برزت وقالت وقد لثموا لوريتها العيونا
الايا راحلين لحرب قوم لئام ضيعوا الوطن الثمينا
خلوني للوغى معكم خذوني ممرضة لجراحكم حنونا
وان لم تفعلو فغدوا ردائي به شدوا الجروح اذا دمينا